

ذم قسوة القلب

للشيخ الفاضل أبي عبد الله
عبد الرحمن بن عبد المجيد الشميري
حفظه الله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من
 شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل
 فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً
 عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
 [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
 زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
 وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ
 أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا
 ﴿[الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله
 عليه وآله وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة
 ضلالة وكل ضلالة في النار.



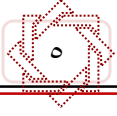
أيها الناس : يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه

الكریم: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ
الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ
فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦)﴾ [الحديد: ٦].

يقول ابن كثير رحمه الله عند هذه الآية : أما آن للمومنين أن تخشع
قلوبهم لذكر الله، أي عند ذكر الله عز وجل وعند المواعظ وعند
سماع القرآن فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيع، أما آن لأهل الإيمان
أن تخشع قلوبهم لذكر الله أي عند ذكر الله عز وجل، يقول ابن مسعود
رضي الله عنه كما في صحيح الإمام مسلم: ما كان بين إسلامنا وبين
أن عاتبنا الله عز وجل بهذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ
قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾

إلا أربع سنين، هذه المدة الله سبحانه وتعالى نادى فيها أهل الإيمان
وأمرهم أن تخشع قلوبهم لذكر الله عز وجل، وحذرهم من قسوة
القلب، حذر من؟ حذر صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،
حذرهم وهم خير الناس بعد الأنبياء، حذرهم وهم أصحاب قيام
الليل، وأصحاب صيام النهار، وأصحاب الجهاد في سبيل الله عز

وجل، والوحي ينزل عليهم ومع هذا حذرهم من قسوة القلب وأن يكونوا كأهل الكتاب الذين طال عليهم الأمد فقسّت قلوبهم، فكيف بنا نحن عباد الله في هذا الزمان الذي كثرت فيه الفتن، وكثر فيه تعلق قلوب كثير من الناس بالدنيا، وغرتهم الدنيا وألهتهم عن طاعة الله عز وجل، كيف يكون الحال عباد الله؟ يقول مالك بن دينار رحمه الله تعالى: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب، ولا غضب الله عز وجل على قوم إلا نزع من قلوبهم الرحمة، هذه عقوبة شديدة، بل هي أعظم عقوبة يعاقب بها الإنسان هو قسوة قلبه والعياذ بالله، ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق، ذكر بعض أهل التفسير أن سبب توبة الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى وكان قاطعاً للطريق كان سبب توبته رحمه الله أنه عشق جارية فواعدته ليلاً فارتقى الجدران ليصل إليها فسمع قارئاً يقرأ: ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق فرجع القهقري وقال: بلى والله قد آن، ثم رجع وذهب إلى خربة أي مكان خراب فسمع قومًا من المارة وجاهم بهذه الخربة فسمعهم وهم يتكلم بعضهم مع بعض ويقولون: إن فضيل يقطع الطريق، فقال: أراني



أعصي الله في الليل قوم من المسلمين يخافونني اللهم
 إني قد تبت إليك وجعلت توبتي جوار بيتك الحرام، فكان من أعظم
 العباد، وصار من أكبر العلماء، وصار من أكبر الزهاد، اقرأوا ترجمة
 الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى ترجمة نيرة ترجمة عظيمة سيرة
 جميلة حميدة من الله عز وجل عليه بالتوبة بسبب أنه سمع هذه الآية،
 سمع هذه الآية فرق لها قلبه، وخشع لها فؤاده، وصار من التائبين
 العابدين الزاهدين، فما بالنا نحن عباد الله كم نسمع من الآيات ؟ وكم
 نقرأ من الآيات ؟ فلا تخشع قلوبنا ولا ترق أفئدتنا، هذه حالة ذميمة
 لقد توعد الله عز وجل أصحاب القلوب القاسية بالعذاب الأليم فقال
 سبحانه: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ ۖ فَوَيْلٌ
 لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۖ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢٢)
 الزمر: ٢٢].

هؤلاء في ضلال، قسوة القلب سبب للضلال، سبب لانغلاق القلب،
 فلا يخشع ولا يفهم ولا يعي، فيا عباد الله لنبتعد عن قسوة القلب، فإن
 الله سبحانه وتعالى قد ذم أصحاب القلوب القاسية وأخبر أن قسوة
 القلب تمنع عن قبول الحق والعمل به، قال الله عز وجل عن بني

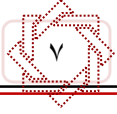
إسرائيل عن اليهود: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ

فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ﴾ [البقرة: ٧٤].

لا تقبل الحق ولا تفعل الحق ولا تفهم الحق ولا تعمل بالحق، ﴿فَهِىَ
كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ
وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ
اللَّهِ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤)﴾ [البقرة: ٧٤].

لقد ذم الله سبحانه وتعالى قومًا ابتلاهم أصابهم بالضراء أصابهم
بالبأساء يريد منهم التضرع ولكن منعهم من ذلك قسوة قلوبهم، قال
الله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ
وَإِلَّا لَمَّا {فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ} أي الأمراض والأسقام
لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢].

لعلهم يلجأون إلى الله ويدعونه، لعل قلوبهم تخشع، لعل قلوبهم
ترجع، لعل قلوبهم تلين، قال: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن
قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ما رقت ولا خشعت ولا رجعت: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣)﴾ [الأنعام: ٤٣].



زين لهم الشيطان شركهم، زين لهم الشيطان المعاصي،
فهذا كله بسبب ماذا عباد الله ؟ بسبب قسوة القلب، الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم كان من أرق الناس قلباً، شهد الله عز وجل له بذلك
في كتابه فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا
الْقَلْبَ لَآنْفَضُوهَا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي
الْأَمْرِ ۚ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

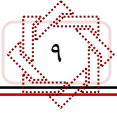
روى البخاري في صحيحه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنهما أنه قال: "إِنَّ صِفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَةِ، قَالَ: أَجَلٌ؛ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ
صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾
[الأحزاب: ٤٥]، وَحِزْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمَتَوَكَّلَ،
لَيْسَ بَفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ
السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَصْفَحُ.

هذا هو هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، رقة القلب، ولين
القلب، وخشوع القلب وعدم قسوته وفضاضته وغلظته، روى
البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه،

أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال له: «**اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ**،
قُلْتُ: اقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟ قَالَ: **فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**،
فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النَّسَاءِ، حَتَّى بَلَغْتُ: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
بَشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ [النساء: ٤١]، قَالَ: أَمْسِكْ، فَإِذَا عَيْنَاهُ
تَذَرَفَانِ.

عينا من؟ عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، رق قلبه وخشع
قلبه عند أن سمع القرآن، عند أن تدبر معاني القرآن تأثر قلبه فخشع
قلبه وخشع فؤاده فذرفت عيناه خشوعاً لله سبحانه، بكاء من خشية الله
سبحانه وتعالى، عباد الله إن قسوة القلب من أشد العقوبات التي
يعاقب بها الإنسان فلنكن حذرين منها.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينجينا منها، اللهم وفقنا لما تحب وترضى
وخذ بنواصينا للبر والتقوى.



الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
 ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه
 وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد عباد الله
 : إن للين القلب وعدم قساوته أسباب، من تلك الأسباب الإكثار من
 ذكر الله جل وعلا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ
 قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۖ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) [الرعد: ٢٨].
 من أسباب لين القلب أيضاً: تدبر القرآن عند قراءته، أو عند سماعه،
 قال الله جل وعلا: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا
 مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾
 (٢١) [الحشر: ٢١].

من أسباب لين القلب أيضا : زيارة القبور، قال صلى الله

عليه وآله وسلم: " زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة، رواه ابن ماجه
عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وهكذا أيضا من أسباب لين القلب: تذكر الموت، فهذا يسبب لك
الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله سبحانه وتعالى، قال صلى الله
عليه وآله وسلم: **" أكثروا من ذكر هاذم اللذات فما ذكره أحد وهو في
ضيق إلا وسعه عليه، ولا ذكره أحد وهو في سعة إلا ضيقه عليه،** رواه ابن
حبان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن أسباب لين القلب أيضا : إطعام المسكين، ومسح رأس اليتيم،
روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم قال : **" إذا أردت تليين قلبك فأطعم المسكين وامسح
رأس اليتيم"**

وأخيرا أذكر نفسي وإخواني بوجوب زكاة الفطر، فإن زكاة الفطر عبادة
عظيمة من العبادات، وواجب عظيم من الواجبات، وفرض أكيد من
الفرائض، يقول ابن عمر رضي الله عنهما : " فرض رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم زكاة الفطر صاعاً من طعام، أو صاعاً من شعير

على الحر والعبد والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدي قبل خروج الناس إلى الصلاة. قوله فرض يدل على وجوبها، على كل من قدر على إخراجها، والذي هو قادر على إخراجها أو واجب عليه أن يخرجها من كان عنده زيادة على قوت يوم العيد وليلته، والواجب هو صاع، والصاع يقدر بثلاثة كيلو، بعض العلماء يقدر أقل من ذلك، ولكن الأحوط أن تخرجها ثلاثة كيلو، والواجب هو صاع من طعام فلا تجزئ نقودا، من أخرجها نقودا فإنها لا تجزئه، لأن الدنانير والدراهم كانت موجودة في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولم يأمرهم بإخراجها دنانير ولا دراهم.

وهكذا أيضا الواجب أن تخرجها في وقتها ولها وقتان وقت فضيلة وهي قبل صلاة العيد لهذا الحديث وأمر أن تؤدي قبل خروج الناس إلى الصلاة أي إلى صلاة العيد، ووقت جواز وهو قبل العيد بيوم أو يومين، لأن الصحابة رضوان الله عليهم كان بعضهم يفعل ذلك، وهكذا هذه الزكاة مصرفها الفقراء والمساكين، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: "فرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زكاة الفطر

طهارة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات.

نعم عباد الله هذه تنبيهات مختصرة لهذه الشعيرة العظيمة شعيرة زكاة الفطر لأننا قريبون منها ولأن وقتها قد قرب منا، فناسب التذكير بها لقول الله عز وجل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٥)

[الذاريات: ٥٥].

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالْعِفَافَ وَالْغِنَى، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عَصَمَةٌ أَمْرُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دِيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ، اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشُّرْكَ وَالْمَشْرِكِينَ، وَدَمِّرْ أَعْدَاءَ الدِّينِ، اللَّهُمَّ آمِنَا فِي أَوْطَانِنَا وَأَصْلِحْ أَعْمَلَنَا وَوَلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالرَّافِضَةِ وَمَنْ تَعَاوَنَ مَعَهُمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَكَ، اللَّهُمَّ دَمِّرْهُمْ تَدْمِيرًا، اللَّهُمَّ خُذْهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي فَلَسْطِينَ وَفِي غَيْرِهَا، اللَّهُمَّ كُنْ لَهُمْ مَعِينًا وَنَصِيرًا، اللَّهُمَّ



ارحمهم برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم احفظهم من
كل سوء ومكروه، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك
رحمة إنك أنت الوهاب، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة،
وقنا عذاب النار. سجلت في يوم: الجمعة ٢٦ رمضان لعام ١٤٤٥ هـ مسجد الشميري
تعز .
فرغها أبو عبدالله زياد المليكي.

